البيئة الأسرية وعلاقتها بانحراف الأحداث

زروقي فاطمة الزهرة

جامعة تيارت ـ الجزائر

مقدمة:

تعد مشكلة انحراف الأحداث من أهم وأعقد المشكلات التي تواجهها البيئة الاجتماعية نظراً لما تكتنفه من أخطار وانعكاسات على مستقبلها، وعلى البناء الاجتماعي عامة، لذا تجلى الاهتمام في مختلف أدبيات أبحاث ودراسات علم الاجتماع، علم النفس، علم الإجرام، والعلوم القانونية، بهذا الموضوع، وقد حاولت ـ هذه الأبحاث ـ ولا تزال إيجاد أنجع السبل التي تجعلها في منأى ـ قدر الإمكان ـ عن النتائج الوخيمة التي تترتب عن حدوث كمّ هائل من الجنح .

إنّ الأسرة مؤسسة اجتماعية تدخل ضمن مؤسسة التنشئة الاجتماعية فهي اللبنة الأساسية لهذا الكيان ـ المجتمع ـ وصلاحه ينطلق من صلاح الأسرة وكل خطأ يرتكب داخل هذا الحقل سيكون له أثر بليغ على مستقبل المراهق.

وتعتبر ظاهرة انحراف الأحداث التي ترتبط بصغار السن من أبرز موضوعات الدراسة السوسيولوجية المرتبطة بالبيئة الأسرية، باعتبارها الفضاء الأول للتنشئة الاجتماعية. وإن انحرافهم ضرر على أنفسهم وعلى مجتمعهم، إذ تمتد عواقبه إلى تلك الموارد البشرية وإلى ما يمكن أن تقدمه للمجتمع ولأسرها.

ومادام للبيئة الأسرية دخل كبير في تنشئة أفرادها، حيث وللأبوين الأهمية الكبيرة في تنشئة الطفل، ونخص بالذكر الأب لما له من دور كبير، كونه القدوة التي يقتدي بها الأبناء. وصورته في نظرهم عظيمة. وانطلاقا من مقولة جون بولين "ليس هناك مثل المنزل" والتي يقصد فيها الإشارة لدور البيئة الأسرية في تربية الأطفال وتنشئتهم وتطبيعهم.

إن الطفل عامة يحتاج إلى رعاية متعددة ويعتمد على غيره وخاصة أسرته ووالديه في تلبية احتياجاته المادية والنفسية والتربوية، فكيف إذا تعرض الطفل إلى ضغوط كبيرة في حال غياب البيئة الأسرية الطبيعية من أب أو أم والحرمان؛ بل إنّ منهم مَنْ يؤدي بالطفل إلى عدم الأمان والثقة.

1- وظائف الأسرة :

من الملاحظ أن الأسرة في تطورها قد مرّت من الاتساع إلى الضيق، فقديما كانت تقوم بكل شيء فتنتج كل ما تحتاج إليه، ولا تستهلك إلا بقدر إنتاجها، لكن نتيجة لزيادة التخصص وتعقد المجتمع الحديث والنمو المستمر في التنظيمات البيروقراطية وإثباتها أنها أكفأ من غيرها من التنظيمات في تحقيق الأهداف المجتمعية، بالرغم من أنّ هذه التنظيمات بدأت في أخذ وظائف الأسرة واحدة بعد الأخرى، وهو في رأي كثير من العلماء ما قلّص وظائف الأسرة وأدى إلى ضعفها وتفككها في العصر الحديث . ويمكننا تلخيص هذه الوظائف في :

أ- تنظيم السلوك الجنسي :

تعتبر الأسرة البيئة التي اصطلح عليها المجتمع ونصت عليها الشرائع المنزّلة لتحقيق الغرائز الجنسية بصورة يقرها المجتمع، ومن ثمّةَ يعترف بثمرات هذا الاتصال[1]. لقوله تعالى : ﴿**وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(سورة الروم الآية: 21)

ب – التناسل :

تقوم الأسرة بإنجاب الأطفال، وهم الوحدات البشرية التي يقوم عليها المجتمع مما يضمن للمجتمع نموه واستقراره .

ج – منح المكانة الاجتماعية :

تقوم الأسرة بإعطاء أفرادها الاجتماعية التي تخلع عليها من اسم، وعنصر، وجنسية وديانة، ووضع طبقي، ومحل إقامة، وغيره ممّا تقتضيه تلك المراكز من التزامات وحقوق.

د – ممارسة الضبط الاجتماعي :

تقوم الأسرة بالمراقبة الاجتماعية أو الضبط الاجتماعي، إذ تنظم علاقة الذكور جنسيا بالإناث.

هـ – الأسرة وسيلة من وسائل التقارب :

تعمل الأسرة على التقارب بينها وبين الأسر الأخرى، وذلك عن طريق المصاهرة التي ترتب التزامات وحقوق متبادلة بينهما في المجالات: الأسرية، الاقتصادية، السياسية وغيرها من المجالات الاجتماعية الأخرى[2].

و – الوظيفة الاقتصادية :

تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية متكافلة، حيث يقوم أعضاؤها بنشاطات مختلفة للحصول على مدخل يوفر لهم حاجاتهم الأساسية، كالأكل والسكن والترفيه، وبالرغم من التغير الذي طرأ على الوظيفة الاقتصادية للأسرة بعد موجة المتغيرات الاجتماعية والعلمية والتكنولوجية إلا أنها ما زالت توفر لأفرادها الملبس والمأكل والمأوى وهذا يعني أن وظيفة الأسرة تحقيق الإشباع المادي من خلال إنتاج الأسرة وعملها، وتتميز الأسرة الحديثة بأنها وحدة مستهلكة أكثر منها منتجة[3].

ز – الوظيفة الدينية :

الأسرة تلعب دورا هاما في غرس القيم الدينية والأخلاقية في نفوس أفرادها فهم يكتسبون الأسس والمبادئ الدينية منها على اعتبار أنهم ينتمون إليها، وهي التي تحدد لهم الدين الذي يعتنقونه في حياتهم، كما أنها هي التي تغرس فيهم نظرتهم إلى الله، وهي التي تعلمهم الواجبات الدينية كالصلاة، والصوم، والاحتفال بالأعياد الدينية، وغيرها من الممارسات الدينية التي تبلور نظرتهم إلى الدين والوجود والعبادات وكيفية التعامل مع الناس، هذا كلّه يجعل من الأسرة التي ينشأ الفرد فيها المعتمد الأول في تطبيعه على هذه القيم الدينية[4].

ح – التنشئة الاجتماعية :

الأسرة هي الرحم الاجتماعي الذي يُلقى منه المولود البشري من رحمه البيولوجي ليقدم له الأمن والحماية والرعاية ويزوده بوسائل التوافق مع الحياة، ولقد كانت الأسرة الممتدة التقليدية منفردة بمسؤولية التنشئة الاجتماعية حتى سن الرشد تقريبا، ولكن مع التغير الذي مسّ جوانب الأسرة وظيفيا وبنائيا، تراجعت الأسرة عن العديد من جوانب التنشئة الاجتماعية إلى مؤسسات أخرى كالحضانة والمدارس، وبالرغم من ذلك تبقي الأسرة "حجر الأساس في التنشئة الاجتماعية،

إذ هي التي تمنح للطفل أوضاعه الاجتماعية وتحدد له أساليب السلوك الاجتماعي وتعرفه بعادات وقيم مجتمعه، كما تمثل له الوسيط الناقل للتراث الحضاري واللغة والدين من جيل إلى جيل"[5].

ط – الإشباع العاطفي :

ونعني به التفاعل العميق بين الزوجين وبين الآباء والأبناء في منزل مستقل، وهذا ما يخلق وحدة أولية صغيرة تكون المصدر الرئيسي للإشباع العاطفي لجميع أعضاء الأسرة .

ك – تنظيم أنشطة الترويح والترقية :

منذ قرن أو أكثر من الزمان أخذت الأسرة تنمي أدوارها الاجتماعية الأساسية، كالاهتمام بتنظيم أنشطة الترويح والترقية لأعضائها وهذا لأهمية هذا النشاط .

2- مراحل حياة الحدث:

أ- مرحلة التركيز على الذات : وتسمى أيضا بمرحلة التصاق الطفل بأمه من خلال التصاقه بنفسه، وهذه المرحلة تبدأ بواقعة الميلاد حيث لا يعرف الحدث فيها إلا نفسه ولا تمتد مداركه إلى غير ذلك من العالم الخارجي المحيط به، بيد أن ذلك لا ينطبق على الأم التي يشعر الطفل في مرحلة عمره الأولى أنها هي ونفسه سواء. وبعبارة أخرى، إنّ في التصاق الطفل بنفسه في هذه المرحلة التصاقا بأمه في نفس الوقت، لما يربطه بأمه من رابطة عضوية ونفسية غريزية، فهو يعتمد عليها اعتمادا تاما وكليا في البقاء والغذاء والنمو بصورة طبيعية، وهي أول من يتعرف عليه الطفل لأنها هي التي تشبع حاجاته المختلفة.

ب- مرحلة التركيز على الغير: وتسمى كذلك مرحلة التكوين الذاتي للحدث، وفيها يبدأ الحدث في امتصاص نوع المعاملة التي يلقاها من المحيطين به، ويسلك مع الآخرين السلوك الذي يتوقعونه منه؛ أي أنه ينفعل لتصرفاتهم معه بالصورة المألوفة، لذلك تبدو عليه علامات السعادة والسرور، مثلا إذا داعبه أو لاطفه أحد، وبالعكس تظهر عليه علامات الاستياء أو الخوف إذا عومل بصورة لا ترضيه، ويؤدي ذلك إلى نشوء علاقة نفسية بين الطفل وأمه ترتكز على هذه العلاقة العضوية، إذ تبدأ عواطف الطفل تتحرك نحو أمه باعتبارها مصدر إشباع حاجاته الأساسية، فيفرح عندما يراها ويحزن عندما تغيب عنه ويبكي عندما لا تستجيب له كما تعوّد. وتتعاصر هذه المرحلة

مع بدء إحساس الطفل بالأب أيضا باعتباره القائم على توفير مقومات الحياة للصغير وباعتباره مصدرا للشعور بالأمان وبالسلطة الضابطة معا وهي أمور يحتاجها الصغير بالضرورة، وهكذا تكون علاقة الصغير بالأسرة في هذه المرحلة علاقة عضوية وعلاقة نفسية في الآن ذاته، وهذه الأخيرة هي أساس كل علاقة اجتماعية يقيمها الحدث بعد ذلك مع الآخرين.

ج- **مرحلة المراهقة** : وتسمى بمرحلة النضج الاجتماعي وهي المرحلة التي بنهايتها يكتمل النضج الاجتماعي والنفسي للحدث ويصبح قادراً على البت فيما يصادفه من الأمور، وتكون هذه المرحلة مسبوقة بمرحلة ما بين انعدام التمييز وبين المراهقة وهي التي تتميز ببدء "الذات العليا" أو "الأنا العليا" لدى الحدث في الارتقاء وفي التشبع بالمثل العليا والقيم الدينية والتأثر بالقدوة الحسنة، ويعتمد ذلك على ما يتلقاه الحدث في البيئة المحيطة به سواء الأسرة أو المدرسة أو غيرهما، وبدخول الحدث إلى مرحلة المراهقة، يضاف إلى ما تقدم التغيرات الطبيعية الداخلية والخارجية التي تؤثر وتنعكس على جسم الحدث ووظائفه وما يصاحب ذلك من نظرات الآخرين إليه، مما يجعل الشكل الخارجي لجسم الحدث ذا أهمية بالغة بالنسبة له، بل وربما يحاول تتبع التغيرات المماثلة لدى زملائه وأقرانه المحيطين به ويعقد المقارنات بينه وبينهم.

3- التفكك الأسري:

3-1- مظاهر انحراف الأحداث ناتجة عن التفكك الأسري:

ومن أهم مظاهر الانحراف عند المراهقين والتي تكون غالبا ناتجة عن التفكك الأسري ما يلي:

الهروب: يعتبر الهروب المثال الأول للانحراف وترجع التعريفات الكلاسيكية الهروب إلى الطابع العيادي أو إلى الفرضيات الكامنة أو إلى مظاهره الاجتماعية الشاذة أو غير المتكيفة. فقد تدل مغادرة المنزل العائلي على قلق وضيق الشخص في عائلته سببه إما الاضطرابات العاطفية وإما الظروف العائلية السلبية ويعرف العلماء الهروب على أنّه وضعية مرضية للنشاط مع انتقال غير عادي تحت تأثير الاضطرابات النفسية"[6] .

وقد يتكون الهروب كفعل الخضوع إلى حاجة الهروب، والتي من المستحيل مقاومتها ،ويكون هذا الفعل بدون هدف ومفاجئ وغير معقول ومحدد بالزمان حيث يترك الشخص منزله أو مكان حياته الخاصة(المنزل، المدرسة) ويهمل بذلك محيطه والتزاماته الاجتماعية.

التشرد :يعتبر التشرد أيضا شكلا من أشكال الانحراف ويرى بعض العلماء أنه من الصعب القيام بالتمييز بين الهروب والتشرد فالهروب يمكن أن يسمى تشردا وذلك في حالة عدة تكرارات وفي بعض الأحيان يعتبر الهروب محاولة تشرد فاشلة وعليه فإن الهروب هو أزمة في حين أن التشرد ظاهرة مستمرة في الزمان.

العدوان :هو عبارة عن سلوك يصدر إما عن الطفل اتجاه أفراد آخرين ويكون هذا كرد فعل إما عن عدم الرضا بالواقع الاجتماعي وإما عن نقص وإما عن المشاكل الأسرية التي يتصدرها التفكك الأسري .

3-2- أشكال التفكك الأسري:

لقد صنف ويليامGood. W الأشكال الرئيسية لتفكك الأسرة كما يلي:

أ-انحلال الأسرة تحت تأثير الرحيل الإداري لأحد الزوجين عن طريق الانفصال (الطلاق، الهجر) وفي بعض الأحيان قد يستخدم أحد الزوجين حجة الانشغال الكثير بالعمل ليبقى بعيدا عن المنزل وبالتالي عن شريكه لأطول فترة ممكنة.

التغيرات في تعريف الدور الناتجة عن التأثير المختلف للتغيرات الثقافية وهذه قد تؤثر في مدى ونوعية العلاقات بين الزوج والزوجة إلا أنّ الصورة أو النتيجة الأكثر وضوحا في هذا المجال تكون في صراع الآباء مع أبنائهم الذين يكونون في سن الشباب.

ب- أسرة يعيش الأفراد فيها تحت سقف واحد ولكن تكون علاقاتهم في الحد الأدنى، وكذلك اتصالاتهم ببعض محدودة فيفشلون في علاقاتهم معاً وخاصة من حيث الالتزام بتبادل العواطف بينهم.

ج-يمكن أن تحل الأزمة العائلية بسبب أحداث خارجية وذلك مثل الغياب الاضطراري المؤقت أو الدائم لأحد الزوجين بسبب الموت أو دخول السجن أو أية كوارث أخرى مثل الحرب أو الفيضان.

د- الكوارث الداخلية التي تتسبب عن فشل اللإرادي في أداء الدور نتيجة الأمراض النفسية أو العقلية مثل التخلف الشديد لأحد أطفال، الأسرة أو الاضطراب العقلي لأحد الأطفال أو لأحد الزوجين والظروف المرضية المزمنة والخطيرة[7].

3-3- عوامل التفكك الأسري:

أ-العوامل الاقتصادية :

يعتبر العامل الاقتصادي مسؤولا عن بعض أنواع الانحرافات السلوكية كهروب رب الأسرة من مواجهة مسؤولياته إلى إدمان الخمر والمخدرات أو الالتجاء إلى مزاولة أعمال لا يقرها القانون مما يعرضه للسجن في بعض الأحيان كما يؤدي انخفاض المستوى الاقتصادي عادة إلى انخفاض القيم داخل الأسرة، وبالتالي يشعر الطفل بعدم الارتباط بالقيم فيسهل استهواؤه إلى الانحراف كما يؤدي إلى عدم وجود الولاء عند الطفل نحو أسرته لعجزها عن إشباع حاجاته المادي، مما يؤدي إلى تمرده على السلطة الوالدية ويمهد ذلك لانحرافه، وقد يؤدي انخفاض الدخل إلى إحساس الطفل بمسؤولياته تجاه الأسرة فيعمل للحصول على المال لسد احتياجاتها بطريقة غير سوية، مما يعرضه للانحراف ويعرض الأسرة للاضطراب [8].

وقد قدم البعض تحليلا لأهم العوامل التي تؤثر على تهديد كيان الأسرة في المجتمعات الصناعية الكبرى مركزdk على الأزواج في الأعمار الصغيرة واتضح لهم أن التصنيع والتسابق التكنولوجي والإعلامي من أهم العوامل التي تدفع الأسرة إلى التفكك أمام شدة تيارات التحول الاجتماعي الذي يركز على عنصر المنافسة بين الرجل والمرأة داخل الأسرة الواحدة، وعنصر الاستقلال المادي لكل منهما، وفقدان عنصر التبعية، وتحمل المسؤولية بالنسبة للرجل فقط، مما يؤدي إلى الكثير من الصراعات التي تضعف الأسرة إلى أنْ تصبح كيانا هشا يتصدع أمام أقل الحوادث.

ب-العوامل الاجتماعية والأخلاقية :

وتتمركز حول الأساليب الاجتماعية والعلاقات والأنماط والقيم والمعتقدات بل وكافة المحاور التربوية التي يمكن توجيهها، ومن أهمها :

- اختلاف أوجه النظر في عملية التنشئة الاجتماعية للصغار.
- صراع الأدوار بين الزوجين وزيادة الضغوط النفسية لأحد الزوجين.
- الانحرافات الخلقية والخيانة الزوجية لأحدهما وأثره على الأعضاء؛ بل على النسق الأسري كله.
- اختلال الميول والعادات والتقاليد والقيم وعدم وضوح الضوابط الأخلاقية والاجتماعية.

ج-عوامل عاطفية ونفسية :

تتمثل في فتور العلاقة العاطفية بين الزوجين وهذا من أخطر أنواع التفكك الزواجي ثم الأسري. كما تتمثل في عدم الشعور بالأمان والطمأنينة بجانب الطرف الآخر.

د- عوامل عقلية : إنّ مستوى التفكير واختلافه بين الزوجين قد يكون سبباً في اختلاف التوقعات بين كل منهما تجاه الآخر فإذا كانت توقعاتهما مختلفة ومتباعدة كانت المشكلات بينهما كبيرة وخطيرة، حيث يظهر من خلالها صراع عنيف نسميه صراع التوقعات.

هـ- عوامل ثقافية :

إنّ انخفاض المستوى الثقافي والتعليمي والقيمي داخل الأسرة يؤدي إلى امتصاص الأطفال لقيم غير مرغوب فيها تكون سبباً في كثير من المشكلات الأسرية في أسرهم الحالية مما يؤدي بنقلها بعد ذلك إلى أسرهم المستقبلية، وكذلك عندما ينتمي أطراف الزواج إلى أصول ثقافية متباينة ويخضعان لمجموعة من المعايير والقيم الاجتماعية المختلفة، فإن هذا التباين والاختلاف يؤديان لكثير من الصراعات والتوترات داخل الأسرة الواحدة نظراً لتباين الثقافات والاتجاهات، ويؤدي ذلك في الغالب إلى الطلاق الذي يمثّل أهم أشكال التفكك الأسري في جميع المجتمعات بدون استثناء.

و-الطلاق :

وهو الإعلان الرسمي عن فشل الحياة الزوجية كما أنه أحد المشكلات الخطيرة التي تهدد كيان الأسرة[9].

3-4- أثر التفكك الأسري على انحراف الأحداث:

مما لا شك فيه أن للوسط الأسري الذي يعيش فيه الطفل أثراً بالغ الأهمية على شخصيته وقيمه وأفكاره وسلوكه إذا كان الجو الأسري سيوجه الاضطراب والارتباك الأسري نتيجة تفكك العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وغياب السلطة الضابطة ، وهو ما سيوجه سلوك الطفل ـ الذي يستحكم فيه في مختلف مراحل حياته ـ خاصة مرحلتي الطفولة والمراهقة باعتبارهما الأساس الذي تتكون من خلاله شخصية الطفل مستقبلا، وقد تم التوصل من خلال دراسة ميدانية قمت بها حول" دور الأسرة في تشرد الأطفال" حيث كانت إحدى فرضيات البحث حول "علاقة التفكك الأسري بتشرد الأطفال" وتم التوصل إلى أن أغلب الحالات أو الأطفال الذين أصبح مصيرهم الشارع كانوا في الغالب عُرضة التفكك الأسري بمختلف مظاهره والتي تجسدت في وفاة أحد الوالدين أو كلاهما أو الهجر أو الطلاق، وكل هذه المظاهر كانت ناتجة عن المشاكل الأسرية والمتمثلة في الشجار والصراع والنزاع المستمر والدائم بين الزوجين، مما يبين لنا ما لكل ذلك من آثار سلبية على نفسية هؤلاء الأطفال خصوصا عندما يكون هذا الشجار أمامه.

كما تبيّن لنا أثر ذلك كله على قيمة ومكانة الأب بين الأولاد حيث يؤثر فقدان الوالد أو الوالدة سوءا بالطلاق أو الهجر أو الموت على حياة الطفل خصوصاً في مرحلة الطفولة، أين يكون هذا الأخير بحاجة إلى رعاية خاصة وتنشئة اجتماعية سليمة توجه سلوكه في المجتمع وتجعل شخصيته قوية وثابتة.

كما توصلنا إلى أن أغلب الأطفال الذين اتخذوا الشارع بديلاً عن الوسط الأصلي للأسرة، كانوا عرضة للتفكك الأسري في مرحلة الطفولة والذي غالبا ما كان يؤدي إلى غياب السلطة الضابطة للطفل والحرمان من الاستقرار النفسي والاجتماعي اللذين يحتاج الطفل إليهما خاصة في بداية حياته، فعندما يتخلى الوالد عن مسؤولياته اتجاه البيت والأولاد وغالبا ما كان هذا التخلي من

طرف الوالد صدفة كالهجر وأحيانا انقطاع رباط العلاقات الزوجية بين الأبوين عن طريق الطلاق "فحدوث الطلاق في المجتمع يمس جميع الفئات ولكن بدرجات متفاوتة جدا، وحدوثه يؤثر كثيراً على الأطفال "والمعلوم أن كل فراق يسبب الألم والعذاب"[10].

ونتيجة هذا الألم والفراق يصبح الأطفال ضحية لعدد من المشاكل التي لا حصر لها، تقول الباحثة الاجتماعية " Louise " في حديثها عن جرائم الأحداث "لا يوجد أطفال مذنبون بل الأطفال هم دائما الضحايا في الطلاق فالطفل في السنوات الأولى من حياته حصيلة العوامل الوراثية والبيئية التي تؤثر فيه، وتتفاعل فيه باستمرار، في ميدان لا تكاد توجد فيه بادئ الأمر أية مقاومة صادرة عن الطفل نفسه فهو في حاجة لكي ينمو إلى تلقي الآثار المادية والمعنوية في الوسط العائلي فإذا اختل توازن الأسرة فلابد أن يؤدي هذا الاختلال إلى اضطراب تنشئة الطفل بحياة صالحة"[11].

إنّ الطلاق يحرم الطفل من رعاية وتوجيه الأب والأم له، وبالتالي يحرم من النمو العادي للأطفال، مما قد يدفع به إلى كره أحد الوالدين وربما الاثنينمعاً ويزداد حرمان الطفل هذا إذا كان صغير السن خصوصا لأن بعض الباحثين لاحظوا أنه "كلما كان الطلاق يصاحب سناً صغيرة للطفل من2 إلى 12عاماً كلما كانت الصعوبات أشد بالنسبة للطفل"[12]. بحيث تتكون لدى الكثير من الأطفال عقدا نفسية يعانون منها كثيرا في حياتهم المستقبلية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى قد يعرّضهم هذا للعوز والجوع والحرمان من الموارد الضرورية لنموهم نموا سليما ولتغطية متطلباتهم الأساسية في الحياة، وهذا الحرمان من الناحية المادية والنفسية للطفل وقد يتعدى إلى سلوكه الاجتماعي الذي يساعده على انحرافه خاصة في الأسرة الفقيرة وانعدام الدخل الذي يؤمن للطفل حياة كريمة.

4- العنف الأسري:

4-1- أنماط العنف:

أ-العنف الفردي: هو نمط من العنف الذي يحدث بين الأشخاص في الحياة اليومية.

ب-العنف الجماعي: مشاركة الفرد في العنف الجماعي تجعله يحصل على مكانة يسعى إليها، وذلك من خلال الاستفادة من الفرص السانحة أمامه، واشتراك الفرد في العنف الجماعي، مما يمكّن أن يؤدي إلى إشباع صورته عن نفسه أو الدفاع عن مكانته.

ج-العنف الأسري: في نظر علم الاجتماع يسمى هذا العنف بـ(العنف المنزلي) لأنه يمثل سلوكا قاهراً عنيفا مؤذيا ضد المعتدى عليه، كأن تكون الزوجة ضحية الزوج أو الأبناء ضحايا زوج أمهم، أو أبيهم مما يتطلب حمايتهم من قبل القانون والسلطة الرسمية، ولكون العنف المنزلي يقع داخل حدود المنزل ولا يطلع عليه أحد من خارجه، فإنه نادراً ما يشاع ويطفو إلى الخارج.[13]

4-2- أنواع العنف الأسري:

للعنف الأسري أنواع كثيرة وعديدة، منه المادي المحسوس والملموس النتائج، الواضح على الضحية ومنه المعنوي الذي لا نجد له أثاراً في بادئ الأمر على الضحية؛ لأنه لا يترك أثرا واضحا على الجسد وإنما أثاره تكون نفسية وأنواعه كالتالي:

أ-العنف المادي أو البدني: هو أكثر أشكال العنف الأسري شيوعا، ويمكن اكتشافه وتحقيقه، ويتم بعدة طرق والتي تترك أثارا واضحة.

ب-العنف اللفظي: وهو العنف الذي يهدف إلى التعدي على حقوق الآخرين بإيذائهم عن طريق الكلام أو الألفاظ الغليظة النابية، وعادة ما يسبق العنف اللفظي العنف البدني[14]

ج-العنف الرمزي: هذا النوع من العنف يسميه علماء النفس بالعنف التسلّطي، وهو يشمل التعبير بطرق غير لفظية كاحتقار الآخرين أو توجيه لهم نظرات الازدراء أو الامتناع عن النظر إلى شخص الذي يكن له العداء[15].

د-العنف المباشر: وهنا نجد أن الشخص العدواني يوجّه عدوانه مباشرة إلى الموضوع المثير للاستجابة العدوانية.

4-3- دوافع العنف الأسري: من أجل فهم أي مشكلة اجتماعية بالشكل السليم لابد من فهم أسباب حدوثها، إذ دون معرفة الأسباب لا يمكن علاج المشكلة، لذا يمكن تقسيم الدوافع التي يندفع الفرد بمقتضاها نحو العنف الأسري إلى ثلاثة أقسام هي:

أ-الدوافع الذاتية: وهي تلك الدوافع التي تنبع من ذات الإنسان ونفسه، والتي تقوده نحو العنف اتجاه أسرته.

ب-الدوافع الاقتصادية: في محيط الأسرة لا يسعى مرتكب العنف إلى الحصول على منافع اقتصادية من وراء استخدامه العنف اتجاه أحد أفراد الأسرة، وإنما يكون تفريغا لشحنة خيبة الفقر الذي ينعكس آثاره بعنف من قبل مرتكب العنف نحو الأسرة ولذلك فإن الحالة الاقتصادية للأسرة لها تأثير كبير في درجة العنف الأسري.

ج-الدوافع الاجتماعية والثقافية: يتمثل هذا النوع من الدوافع في العادات والتقاليد التي اعتادها المجتمع والتي تتطلب من الرجل -حسب مقتضيات هذه التقاليد- قدرا من الرجولة بحيث لا يتوسل في قيادة أسرته بغير العنف والقوة.

4-4- نتائج العنف الأسري:

- ضعف الثقة بالذات وبالآخر.
- يكون في ضغط دائم نتيجة خوفه من العقاب.
- يكون دائما في حالة عزلة وانطواء كل هذه العلاقات تعاش كخطأ.
- يؤدي إلى الهروب من البيت والحقد والغضب والاندفاع قبل التفكير.

5-علاقة البيئة الأسرية بانحراف الأحداث :

يرى علماء الاجتماع أن الانحراف ينشأ عن البيئة دون أي تدخل للعمليات النفسية المعقدة، ويصفون الأحداث المنحرفين بأنهم ضحايا ظروف خاصة اتسمت بعدم الاطمئنان والاضطراب الاجتماعي. إن انحراف وجنوح الأحداث يرجع غالبا إلى البيئة الفاسدة التي يعيشون فيها، ولكن لماذا ينحرف بعض الأحداث دون غيرهم ؟.

للإجابة عن هذا السؤال: فإن من المستحيل أن تتطابق الظروف والمؤثرات المحيطة باثنين من الأحداث، ومهما تشابهت العوامل الرئيسية التي يصادفها كلا منهما، فإنه لابد أن تكون ثمة فروق ولو بسيطة بين ظروف كل حدث، وهذه الفروق هي التي تؤدي إلى الاختلاف بينهما في قوة المقاومة أو قوة الاستجابة، وبالتالي فإنها تؤثر على مدى رغبة كل منهما في إطاعته النظم الشرعية

واحترام المعايير المألوفة، ومن هنا ينحرف أحدهما ويبقى الآخر سوياً، فانحراف الصغار يرجع في الغالب إلى عوامل البيئة، وأهمها عدم رعاية الوالدين وتأثيرهما السيئ أحيانا؛ لأنّ الحقيقة هي أن انحراف الأحداث تعبير عن فشل الوالدين في تربيتهم والإشراف على توجيههم، وتقوية الشعور بالمسؤولية عند الأهل يكون أفضل بكثير من إلقاء عبء تربية الصغير على الغير[16]، وإذا ما أردنا فهم فرد واتجاهاته فيجب "النظر إليه من خلال علاقاته بالعالم الخارجي، بالتالي فان جنوح الأحداث غالبا ما يعود إلى البيئة السيئة التي نشأ وترعرع فيها"[17].

إنّ وجود الطفل في بيئة أسرية غير ملائمة ربما يكون من الأسباب ذات العلاقة الوطيدة في إيجاد البيئة الملائمة للانحراف السلوكي، غير أنّ هناك عوامل أخرى تساعد على الانحراف مثل مدى استجابة الطفل لتلك الظروف. ومع ذلك تبقى الأسرة البيئة الطبيعية لنشوء الأطفال، وقد أثبتت التجارب التي قام بها كثير من العلماء "أن الأسرة هي أفضل نظام يوفر للأطفال العوامل النفسية والثقافية"[18].

6- عوامل السلوك الانحرافي :

هناك اختلاف وجدل بين النظريات والمدارس حول تفسير ظاهرة الانحراف فكل من هذه المدارس والنظريات ركزت على عامل دون العامل الآخر، وركّزت على أنه سبب وعامل انحراف الحدث، وإنْ كان التوجه اليوم نحو تعدد العوامل هو المقبول لدى علماء الاجتماع، وإنّ هذه العوامل عديدة ومتعددة ولا يمكن الاعتماد على عامل أكثر من غيره، وسنحاول ذكر أهم العوامل التي يراها العلماء سببا لنهج الفرد السلوك المنحرف، ويمكن تقسيمها إلى عاملين أساسيين هما :

– عوامل داخلية : وهي الظروف البيئية الموجودة داخل الأسرة .

– عوامل خارجية : وهي العوامل الموجودة خارج البيت (جماعة الرفاق، وسائل الاتصال).

وبعد هذا الإجمال يمكننا تفصيل العامل الأسري باعتباره أهم العوامل كلها، ومن المتفق عليه والمعروف لدى الجميع أن للأسرة أهمية ودوراً كبيرين في حياة الفرد وخاصة في البدايات الأولى من حياته، نظراً لمدى احتياج الطفل لوالديه ورعايتهما لينمو نموا سليما .

فالأسرة هي أول مجتمع يتعامل الطفل مع أفراده، ومَدَاخل المجتمع تبدأ منها فأولى عمليات التعلم والتكيف الاجتماعي مع المحيط الخارجي للطفل تكون بدءا بوالديه ثم إخوته ويتسع هذا التفاعل مع أفراد خارج نطاق الأسرة.

ومما لاشك فيه تعرض الطفل لعوائق في المجتمع تحول دون نموه السليم، فتتأثر حياته المستقبلية، بظهور سلوكاته الانحرافية[19].

6-1- العوامل الأسرية :

إن الحياة الأسرية لا تخلو من المشاكل سواء كانت قصيرة أو ممتدّة إلى أن تصبح الحياة صعبة تنتهي على مستوى الزوجين بالانفصال المؤقت أو الدائم، وأيا كان هدا الانفصال فهو تفكك بالنسبة لعلم الاجتماع، وهذا التفكك يخلق خللاً في الأدوار الأسرية وبالتالي فهو يوفّر حدوث اللاستقرار واللاتكامل، وينشأ عن ذلك التفاعل غير السليم بين الوحدات الأسرية.

وقد يأخذ هذا التفكك أشكالاً متعددة من بينها الخصام، الهجر، الطلاق، تعدد الزوجات، المرض أو الوفاة، انحراف سلوك الوالدين، ومهما كان الشكل الذي يصيب الأسرة فإنه تؤدي إلى نتائج سلبية على الأسرة بصفة عامة والأبناء بصفة خاصة .

6-2- النزاع :

هو من العوامل التي تهز كيان الأسرة، ويعود النزاع إلى عدة أسباب كاختلاف المستوى الاجتماعي والمستوى، وكذا الثقافي بين الزوجين كأنْ يكون أحد الزوجين حاد الطباع أو متقلب المزاج أو شديد الغيرة، أو يكون أحدهما محافظا والآخر متحررا وغيرها من الاختلافات التي قد تكون بين الزوجين .

تعددت مشاكل النزاع، فهي كثيرة متنوعة، لكن لا يهمنا عرض المشاكل والنزاعات بقدر ما يهمنا معرفة مدى تأثير هذه النزاعات على الأبناء بصفة خاصة، فقد تبدأ النزاعات بالشتم لتصل درجة الإيذاء، وأياً كان هذا النزاع فهو يعود سلبا على الأبناء ومن صور التفكك ما يلي:

- ضياع جهد الزوجين ووقتهم في الخصام الدائم يجعلهم يهملون أ بنائهم، وهذا عن طريق حرمانهم من الرعاية والتوجيه نحو الطرق السليمة، وهذا ما يعرضهم للانحراف والجنوح في كثير من الأحيان .

- المرأة التي يضربها زوجها تقوم بضرب ابنها .

6-3- الطلاق :

تبدأ الأسرة بشخصين مكمّلَين لبعضهما لكن مع مرور الزمن يظهر أو يكتشف كل واحد منهما أنّ للآخر احتياجات وقيم تميز وتبتعد عمّا كان يؤمن به سابقاً، فيحدث نزاع وقد يؤدي في الأخير إلى الفراق المؤقت أو الفراق الأبدي، وهو ما يسمى ب**الطـــلاق**.

إنّ الطـــلاق هو تفكك أو حلٌّ للرابطة الزوجية، وهذا يعني انهيار أحد مقومات الأسرة الذي بدوره يهز وظائفها الخاصة نحو الأبناء، فالطلاق بالنسبة للأولاد نزاع في السلطة (سلطة الأب، سلطة الأم) وهو ما يخلق اختلاف في المعاملة وتذبذبها وسوء استخدم السلطة الضابطة وفقدان الأمن والحماية والطمأنينة، مما يدفع بالأبناء للبحث عنها في مكان آخر غالبا ما يكون الانحراف. فقد يكون هذا المكان وكراً للأحـــداث المنحرفـين أو رفقاء السوء، وبهذا يكون الطـــلاق الحاجز أمام النمو السليم للأفراد، فيكونون أكثر تعرضاً للسلوك الانحرافي[20].

6-4- وفاة أحد الوالدين : من الجلي أن الطلاق والوفاة يعينان توقف أحد الأبوين عن أداء دوره والتزامه نحو أسرته وخاصة أولاده، ومن أوجه الشبه توقف الإشباع الجنسي وفقدان الإحساس بالأمن والأمان، وفقدان المثل العليا والنموذج والقدوة للأولاد، زيادة على هذا كلّه، زيادة المسؤولية على الطرف الحي، من هنا نستنتج أنه بوقوع الوفاة تتغير الوظائف وتختل موازين الأسرة بالنسبة لكلا الأبوين، وهذا ما يخلق توتراً لدى الطفل إذ يجد نفسه بدون أب أو أم، كما قد يجد نفسه مع زوج الأم أو زوجة الأب أو أسرة غير أسرته[21]، وفي ضوء كل هذا كان تأكيد جلّ الدراسات الاجتماعية على هذا العامل.

6-5- اختلاف سلوك أحد الوالدين :

قد يؤدي الانهيار الخلقي للأسرة إلى تفككها، ونقصد انعدام القيم الروحية والمثل العليا واختلاف المعايير الاجتماعية داخل الأسرة، مما يجردها من كل معاني الشرف والفضيلة والسلوك الطيب، ولهذا قد يعتبر الانهيار الخلقي في مقدمة و طليعة "العوامل البيئية التي تدفع الحدث إلى الانحراف والجنوح"[22]، فالحدث الذي يبصر على وجود أحدأو كلا والديه مجرما أو منحلا خلقياً في أغلب الأحيان يسلك سلوكهم فيدخل ـ وإن طال الزمن ـ إلى عالم الإجرام دون أن يشعر بالإثم، ومن الأخطر أن يحرض الوالدين أو أحدهما ابنهما الحدث على الانحراف والجريمة، والحدث هنا لا يعرف نتائج فعله ومخرجات سلوكياته، إذ هو في المرحلة التي يتأثر فيها بكل ما يدور حوله من سلوكات وتصرفات، كما "قد يمس الانهيار الخلقي سلوك أحد الوالدين أو كلاهما، كما قد يمس سلوك أكبر الأبناء والبنات"[23].

ختاماً نقول: إنّ مرحلة الحداثة تعتبر من المراحل الحساسة والحرجة في حياة كل فرد، فهي مرحلة انتقالية وتحوُّلية بين مرحلتين: مرحلة الطفولة ومرحلة الرشد والنضج، وإنّ تأثير هذا التحول يختلف من فرد لآخر، وعليه فإنّ هذه المرحلة تستدعي الحذر والمتابعة من طرف الفرد ذاته، إذ عليه التعامل معها بحكمة وحذر دون إفراط أو تفريط.

---

(1) ـ ينظر، عبد القادر القصير، الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية. طبعة الأولى. بيروت، لبنان: دار النهضة العربية، سنة: 1999، ص: 69، 68، 67، 66، 57.

(2) ـ ينظر، المرجع نفسه، ص: 69، 70.

(3) ـ ينظر، حنان عبد الحميد العناني، الطفل والأسرة والمجتمع ، دار الصفاء، عمان، الأردن، سنة:2000، ص:56.

(4) ـ ينظر، سلوى عبد الحميد الخطيب، نظرية في علم الاجتماع، مطبعة النيل، القاهرة، مصر، سنة:2002، ص:358.

(5) ـ محمود سلامة غباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة ورعاية الطفولة والشباب. المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، سنة : 1989، ص:28.

(6) ـ كربوش عبد الحميد، مطبوعة حول علم الإجرام والانحراف، مطبعة جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، سنة: 2006، ص:25.

(7) ـ نادية حسن أبو سكينة ومنال عبد الرحمن حضر، العلاقات والمشكلات الأسرية، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، الأردن، سنة: 2011، ص:193.

(8) ـ المرجع نفسه، ص:194 .

(9) ـ المرجع نفسه، ص:19 .

(10)_Gérard poussin. 1997. Les enfants du divorce. Paris , dunned : Elisabeth le brume . p 30

(11) ـ كسال مسعودة، مشكلة الطلاق في المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة: 1986، ص:25.

(12) ـ كربوش عبد الحميد، مطبوعة حول علم الإجرام والانحراف ، ص:26.

(13) ـ خليل معن خليل، علم اجتماع الأسرة، دار الشروق، جامعة اليرموك، الأردن، سنة: 1994، ص:230.

(14) ـ الطاهر حسين محمد، الأساليب التربوية الحديثة في التعامل مع ظاهرة العنف الطلابي، إدارة التدريب، الكويت، سنة: 1997، ص:2.

(15) ـ حلمي جلال إسماعيل، العنف الأسري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة عين شمس، مصر، سنة:1999، ص:10.

(16) ـ جعفر علي، الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، سنة:1996، ص:77.

(17) ـ المرجع نفسه، ص:90.

(18) ـ نفسه، ص:130.

(19) ـ جلال الدين عبد الخالق، الجريمة والانحراف، الإسكندرية، مصر، دار المعرفة الجامعية، سنة: 1999، ص:57.

(20) ـ سلامة محمود الغباري، الخدمة الاجتماعية ورعاية الأسرة ورعاية الطفولة والشباب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، سنة: 1989، ص: 123.

(21) ـ أحمد يحي عبد الحميد، الأسرة والبيئة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، سنة: 1998، ص:36.

(22) ـ خليل معن خليل، علم اجتماع الأسرة ، ص :249.

(23) ـ أنطوان الخوري، أعلام التربية حياتهم وآثارهم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، سنة: 1944، ص:33.